(٧٩)، (٨٠) [الشاكر]، [الشكور]

ورد اسمه سبحانه (الشكور) في القرآن الكريم أربع مرات كما في قوله سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [التغابن: ١٧]، وقوله - عز وجل -: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾[فاطر: ٣٠].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فاطر: ٣٤].

وقوله سبحانه: ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الشورى: ٢٣]، أما اسمه سبحانه (الشاكر)، فقد ورد في القرآن الكريم مرتين فقط وذلك في قوله - عز وجل -: ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٨]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء: ١٤٧].

المعنى اللغوي:

قال في لسان العرب: « (الشكر): عرفان الإحسان ونشره... ورجل شكور: كثير الشكر. وفي التنزيل: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٢]... والشكور من أبنية المبالغة، والشكور من صفات الله جل اسمه معناه: أنه يزكو عنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء.. وأما الشكور من عباد الله فهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأدائه ما وظف عليه من عبادته.. والشكر مثل الحمد إلا أن الحمد أعم منه فإنك تحمد الإنسان على صفاته الجميلة وعلى معروفه، ولا تشكره إلا على معروفه دون صفاته.

والشكر من شكرت الإبل تشكر إذا أصابت مرعى فسمنت عليه. والشكور من الدواب ما يكفيه العلف القليل، وقيل الشكور من الدواب: الذي يسمن على قلة العلف، كأنه يشكر وإن كان ذلك الإحسان قليلاً»[١].

المعنى في حق الله تعالى:

قال الطبري رحمه الله تعالى: «قال قتادة: ﴿ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فاطر: ٣٠]، إنه غفور لذنوبهم، شكور لحسناتهم»[٢].

وقال أيضًا: «إن الله غفور للذنوب، شكور للحسنات يضاعفها»[٣].

قال الخطابي: « (**الشكور**): هو الذي يشكر اليسير من الطاعة فيُثيبُ عليه الكثير من الثواب، ويعطي الجزيلَ من النعمة، فيرضى باليسير من الشكر كقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فاطر: ٣٤].

ومعنى الشكر المضاف إليه: الرضا بيسير الطاعة من العبد والقبولُ له، وإعظام الثواب عليه والله أعلم. وقد يحتمل أن يكون معنى الثناء على الله عز وجل بالشكور ترغيب الخلق في الطاعة، قَلَّتْ أو كثُرت، لئلا يستقلُّوا القليل من العمل فلا يتركوا اليسير من جملته إذا أعوزهم الكثير منه» أهـ[٤].

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - في نونيته:

«وهو الشكور فلن يضيع سعيهم لكن يضـــاعفه بلا حســـبان

---

(١) لسان العرب ٤/ ٢٣٠٥.

(٢) تفسير الطبري ٢٢/ ١٣٣.

(٣) نفس المصدر، ٢٥/ ٢٧.

(٤) شأن الدعاء ص ٦٥، ٦٦ .

ما للعباد عليه حق واجب هو أوجب الأجر العظيم الشان
كلا ولا عمل لديه ضائع إن كان بالإخلاص والإحسان
إن عذبوا فبعدله أو نعموا فبفضله والحمد للمنان»[1]

وقال الشيخ السعدي: «ومن أسمائه تعالى الشاكر والشكور وهو الذي يشكر القليل من العمل الخالص النقي النافع، ويعفو عن الكثير من الزلل ولا يضيع أجر من أحسن عملاً، بل يضاعفه أضعافًا مضاعفة بغير عدٍ ولا حساب، ومن شكره أنه يجزي بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وقد يجزي الله العبد على العمل بأنواع من الثواب العاجل قبل الآجل. وليس عليه حق واجب بمقتضى أعمال العباد وإنما هو الذي أوجب الحق على نفسه كرمًا منه وجودًا، والله لا يضيع أجر العاملين إذا أحسنوا في أعمالهم وأخلصوا لله تعالى»[2].

وقال أيضًا: «فإذا قام عبده بأوامره، وامتثل طاعته أعانه على ذلك، وأثنى عليه، ومدحه، وجازاه في قلبه نورًا وإيمانًا وسعة، وفي بدنه قوة ونشاطًا وفي جميع أحواله زيادة بركة ونماء، وفي أعماله زيادة توفيق.

ثم بعد ذلك يقدم على الثواب الآجل عند ربه كاملاً موفورًا، لم تنقصه هذه الأمور. ومن شكره لعبده أن من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه... »[3].

---

(١) النونية ٢/ ٢٣٠.

(٢) انظر توضيح الكافية الشافية ص ١٢٥، ١٢٦، والحق الواضح المبين ص ٧٠.

(٣) تفسير السعدي ١/ ١٨٥، ٥/ ٦٣٠.

الفرق بين الحمد والشكر:

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «والفرق بينهما: أن الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه، وأخص من جهة متعلقاته، والحمد أعم من جهة المتعلقات وأخص من جهة الأسباب.

ومعنى هذا: أن الشكر يكون بالقلب خضوعًا واستكانة، وباللسان ثناءً واعترافًا، وبالجوارح طاعة وانقيادًا، ومتعلقه: النعم دون الأوصاف الذاتية، فلا يقال: شكرنا الله على حياته وسمعه وبصره وعلمه، وهو المحمود عليها كما هو محمود على إحسانه وعدله، والشكر يكون على الإحسان والنعم.

فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس، فإن الشكر يقع بالجوارح، والحمد يقع بالقلب واللسان»أهـ[1].

ويفصل ابن القيم - رحمه الله تعالى - بعض معاني شكر الله - عز وجل - فيقول: «وأما شكر الربِّ تعالى: فله شأنٌ آخر كشأن صبره، فهو أولى بصفة الشكر من كلِّ شكورٍ، بل هو الشكور على الحقيقة، فإنه يُعطي العبد؛ ويوفِّقه لما يشكره عليه، ويشكر القليلَ من العمل والعطاء؛ فلا يستقلّه أن يشكره، ويشكر الحسنة بعشر أمثالها؛ إلى أضعاف مضاعفة.

ويشكر عبده بقوله؛ بأن يُثني عليه بين ملائكته وفي ملئه الأعلى؛ ويُلقي له الشكر بين عباده؛ ويشكره بفعله.

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٢٤٦.

فإذا ترك له شيئًا أعطاه أفضل منه، وإذا بذل له شيئًا ردَّه عليه أضعافًا مضاعفة، وهو الذي وفَّقه للترك والبذل؛ وشكره على هذا وذاك.

ولما عقر نبيهُ سليمانُ الخيلَ - غضبًا له إذ شغلته عن ذكره؛ فأراد ألا تشغله مرة أخرى - أعاضه عنها متن الريح، ولما ترك الصحابة ديارهم وخرجوا منها في مرضاته، أعاضهم عنها أن ملَّكهم الدنيا؛ وفتحها عليهم، ولما احتمل يوسف الصديق ضيق السجن، شكر له ذلك بأن مكَّن له: ﴿ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ﴾ [يوسف: ٥٦]، ولما بذل الشهداء أبدانهم له حتى مزَّقها أعداؤه، شكر لهم ذلك بأن أعاضهم منها طيرًا خضرًا أقرَّ أرواحهم فيها؛ ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها إلى يوم البعث؛ فيردها عليهم أكمل ما تكون وأجمله وأبهاه، ولما بذل رسله أعراضهم فيه لأعدائهم فنالوا منهم وسبُّوهم: أعاضهم من ذلك بأن صلَّى عليهم هو وملائكته؛ وجعل لهم أطيب الثناء في سماواته وبين خلقه؛ فأخلصهم: ﴿ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [ص: ٤٦].

ومن شكره سبحانه أنه يُجازي عدوَّه بما يفعله من الخير والمعروف في الدنيا؛ ويُخفِّف به عنه يوم القيامة؛ فلا يُضيع عليه ما يعمله من الإحسان؛ وهو من أبغض خلقه إليه.

ومن شكره أنه غفر للمرأة البغيِّ بسقيها كلبًا كان قد جهده العطش؛ حتى أكل الثرى[1]، وغفر لآخر بتنحيته غصن شوكٍ عن طريق المسلمين[2]،

(١) انظر الحديث في البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥).

(٢) انظر الحديث في البخاري (٦٥٢)، ومسلم (١٩١٤).

فهو سبحانه يشكر العبد على إحسانه لنفسه، والمخلوق إنما يشكر من أحسن إليه.

وأبلغ من ذلك أنه سبحانه هو الذي أعطى العبد ما يحسن به إلى نفسه؛ وشكرَه على قليله بالأضعاف المضاعفة؛ التي لا نسبة لإحسان العبد إليها، فهو المحسن بإعطاء الإحسان وإعطاء الشكر، فمَنْ أحقُّ باسم (الشكور) منه سبحانه؟

وتأمل قوله سبحانه: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء: ١٤٧] كيف تجد في ضمن هذا الخطاب أن شكره تعالى يأبى تعذيب عباده سدى بغير جرم؛ كما يأبى إضاعة سعيهم باطلاً، فالشكور لا يُضيع أجر محسنٍ؛ ولا يُعذب غير مسيء.

وفي هذا ردٌّ لقول من زعم أنه سبحانه يُكلِّفه ما لا يُطيقه؛ ثم يعذبه على ما لا يدخل تحت قدرته تعالى الله عن هذا الظنِّ الكاذب، والحسبان الباطل علوًا كبيرًا، فشُكْرُه سبحانه اقتضى أن لا يُعذب المؤمنَ الشكورَ؛ ولا يُضيع عمله، وذلك من لوازم هذه الصفة؛ فهو منزَّهٌ عن خلاف ذلك، كما يُنزَّه عن سائر العيوب والنقائص التي تُنافي كماله وغناه وحمده.

ومن شُكْرِه سبحانه: أنه يُخرج العبد من النار بأدنى مثقال ذرةٍ من خيرٍ؛ ولا يُضيع عليه هذا القدر، ومِن شُكْرِه سبحانه: أن العبد من عباده يقوم له مقامًا يُرضيه بين الناس؛ فيشكره له؛ ويُنوِّه بذكره؛ ويُخبر به ملائكته وعباده المؤمنين، كما شكر لمؤمن آل فرعون ذلك المقام؛ وأثنى به عليه؛ ونوَّه بذكره بين عباده، وكذلك شكره لصاحب يس مقامه

ودعوته إليه، فلا يهلك عليه بين شكره ومغفرته إلا هالك، فإنه سبحانه: غفور شكور يغفر الكثير من الزلل، ويشكر القليل من العمل»[1].

من آثار الإيمان باسميه سبحانه (الشاكر، الشكور):

أولاً: محبته سبحانه والسعي في مرضاته حيث إنه سبحانه قد غمر العباد بفضله وإحسانه وكرمه، وهو الذي أنعم عليهم بنعمة الإيجاد والإعداد والإمداد، ومع ذلك فحينما يعملون العمل الصالح القليل الذي هو بتوفيقه وفضله يشكرهم عليه ويضاعف لهم الأجور ويغفر لهم الذنوب، فسبحانه من إله بر رحيم جواد كريم يستحق الحمد كله والحب كله وإفراده وحده بالعبادة لا شريك له.

يقول سيد قطب - رحمه الله تعالى - عند قوله تعالى: ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [التغابن: ١٧]: «وتبارك الله ما أكرمه وما أعظمه وهو ينشئ العبد ثم يرزقه ثم يسأله فضل ما أعطاه فرضًا يضاعفه، ثم يشكر لعبده الذي أنشأه وأعطاه ويعامله بالحلم في تقصيره هو عن شكر مولاه .. يا لله!! »[2].

ثانيًا: الحياء من الله - عز وجل - والقيام بشكر نعمه سبحانه وحمده، وذلك بالقلب واللسان والجوارح؛ وفي ذلك يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: «وإذا كان الخالق المنشئ، المنعم المتفضل، الغني عن العالمين.. يشكر لعباده صلاحهم وإيمانهم وشكرهم وامتنانهم.. وهو غني عنهم وعن إيمانهم وعن شكرهم وامتنانهم.. إذا كان الخالق المنشئ، المنعم

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص ٤٢٦ - ٤٢٨.

(٢) في ظلال القرآن ٦/ ٣٥٩١.

المتفضل، الغني عن العالمين يشكر.. فماذا ينبغي للعباد المخلوقين المحدثين؛ المغمورين بنعمة الله.. تجاه الخالق الرازق المنعم المتفضل الكريم؟!

ألا إنها اللمسة الرفيقة العميقة التي ينتفض لها القلب ويخجل ويستجيب.

ألا إنها الإشارة المنيرة إلى معالم الطريق.. الطريق إلى الله الواهب المنعم، الشاكر العليم»[1].

ثالثًا: القيام بشكر الله - عز وجل - لا يتوقف على النطق فقط، وإنما هو من أعمال القلوب واللسان والجوارح، وقد مدح الله - عز وجل - أنبياءه وعباده الصالحين بأنهم من الشاكرين كما في قوله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٣]، وقال عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾ [النحل: ١٢١]، وقال نبينا محمد ﷺ عندما أشفقت عليه عائشة - رضي الله عنها - من طول القيام في العبادة: **(أفلا أكون عبدًا شكورًا)**[2] ، وأمر الله - عز وجل - عباده بشكره فقال: ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ: ١٣]، وقال سبحانه: ﴿ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وقال سبحانه: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

والمؤمن لا يستطيع شكر ربه سبحانه إلا بأن يعينه الله - عز وجل - على ذلك، ولذا أوصى النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه أن يقول دبر كل

---

(١) في ظلال القرآن ٢/ ٧٨٦.

(٢) البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩).

صلاة: (**اللَّهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**)[1].

وجاء في الحديث: (**اللَّهم اجعلني لك شكارًا لك ذكارًا**.. الحديث)[2].

ويذكر ابن القيم رحمه الله تعالى: «أن الشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها وأن لا يستعمله فيما يكره، فهذه الخمس هي أساس الشكر وبناؤه عليها فمتى عدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة، وكل من تكلم في الشكر وحدِّه فكلامه إليها يرجع، وعليها يدور»[3].

ثم تحدث عن معنى الثناء على الله - عز وجل - بالنعمة، فقال: «والثناء على المنعم المتعلق بالنعمة نوعان: عام وخاص. فالعام وصفه بالجود والكرم، والبر والإحسان، وسعة العطاء ونحو ذلك. والخاص: التحدث بنعمته والإخبار بوصولها إليه من جهته كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ [الضحى: ١١] »[4].

والتحدث بالنعمة يشتمل الإخبار بها وقوله: أنعم الله علي بكذا وكذا، وكذلك الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ رسالته وتعليم الأمة.

ويتحدث - رحمه الله تعالى - عن كرم الله تعالى وعظيم بره بعبده المؤمن حينما يأمره بشكره فيقول: «فإنه تعالى هو المنعم المتفضل، الخالق

---

(١) أبو داود (١٥٢٢)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٤٧).

(٢) الترمذي في الدعوات باب من أدعية النبي ﷺ وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح أبي داوود (١٣٣٧).

(٣) مدارج السالكين ٢/ ٢٤٤.

(٤) نفس المصدر ٢/ ٥٨٢ (ط.دار طيبة).

للشكر والشاكر.وما يُشكر عليه؛ فلا يستطيع أحد أن يحصي ثناء عليه، فإنه هو المحسن إلى عبده بنعمه، وأحسن إليه بأن أوزعه شكرها؛ فشكره نعمة من الله أنعم بها عليه تحتاج إلى شكر آخر، وهلم جرا.

ومن تمام نعمته سبحانه، وعظيم بره وكرمه وجوده محبته له على هذا الشكر، ورضاه منه به، وثناؤه عليه به، ومنفعته وفائدته مختصة بالعبد؛ لا تعود منفعته على الله. وهذا غاية الكرم الذي لا كرم فوقه؛ ينعم عليك ثم يوزعك شكر النعمة، ويرضى عنك، ثم يعيد إليك منفعة شكرك، ويجعله سببًا لتوالي نعمه واتصالها إليك، والزيادة على ذلك منها»[١].

رابعًا: ومن شكر الله - عز وجل - شكر من أجرى الله سبحانه النعمة على يده، فقد أمر الله سبحانه به في قوله تعالى: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان: ١٤] فأمر بشكره ثم بشكر الوالدين إذ كانا سبب وجوده في الدنيا، وسَهِرَا وتعبا في تربيته وتغذيته، فمن عقَّهما أو أساء إليهما فما شكرهما على صنيعهما، بل جحد أفضالهما عليه، ومن لم يشكرهما فإنه لم يشكر الله الذي أجرى تلك النعم على أيديهما، وقد قال ﷺ: (**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**)[٢].

خامسًا: إن الله سبحانه وتعالى شكور يحب الشاكرين له، الشاكرين لعباده المحسنين، لذا فإن من آثار اسمه سبحانه (الشاكر، الشكور): الاتصاف بموجب هذا الاسم الكريم، والبعد عن ضده وهو الكفر والجحود.

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٢٥٢.

(٢) رواه الترمذي في البر والصلة باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ، وقال: حديث حسن صحيح (١٩٥٤).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «ولمّا كان سبحانه هو الشكور على الحقيقة، كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر، كما أن أبغض خلقه إليه من عطَّلها واتصف بضدها.

وهذا شأن أسمائه الحسنى، أحب خلقه إليه من اتصف بموجبها، وأبغضهم إليه من اتصف بأضدادها، ولهذا يبغض: الكفور، والظالم، والجاهل، والقاسي القلب، والبخيل، والجبان، والمهين، واللئيم.

وهو سبحانه جميل يحب الجمال، عليم يحب العلماء، رحيم يحب الراحمين، محسن يحب المحسنين، شكور يحب الشاكرين، صبور يحب الصابرين، جواد يحب أهل الجود، ستير يحب أهل الستر، قادر يلوم على العجز، والمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف، عفو يحب العفو، وتر يحب الوتر، وكل ما يحبه فهو من آثار أسمائه وصفاته وموجبها، وكل ما يبغضه فهو ما يضادها وينافيها»أهـ[1].

اقتران اسميه سبحانه (الشاكر)، و(الشكور) بأسمائه سبحانه الحسنى:

اقتران اسمه سبحانه (الشاكر) باسمه سبحانه (العليم):

ورد هذا الاقتران مرتين في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٨]، وقوله سبحانه: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء: ١٤٧].

وقد سبق الكلام عن وجه هذا الاقتران في الكلام عن اسمه سبحانه (العليم) فليرجع إليه.

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص ٣٣٧.

اقتران اسمه سبحانه (الشكور) باسمه سبحانه (الحليم):

ورد هذا الاقتران مرة واحدة وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [التغابن: ١٧].

وقد سبق الكلام عن وجه هذا الاقتران في الكلام عن اسمه سبحانه (**الحليم**) فليرجع إليه.

اقتران اسمه سبحانه (الشكور) باسمه سبحانه (الغفور):

وجاء هذا الاقتران في القرآن الكريم ثلاث مرات وذلك في قوله تعالى: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فاطر: ٣٠]، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فاطر: ٣٤]، وقوله عز وجل: ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الشورى: ٢٣].

وقد سبق الكلام عن وجه هذا الاقتران في الكلام عن اسمه سبحانه (**الغفور**) فليرجع إليه، وقد وقفت بعد ذلك على كلام نفيس للإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - يفصل القول في سر اقتران هذين الاسمين الكريمين فيقول: «يا من عزم على السفر إلى الله والدار الآخرة: قد رُفع لك علمٌ فشمِّر إليه فقد أمكن التشمير، واجعل سيرك بين مطالعة منَّته، ومشاهدة عيب النفس والعمل والتقصير، فما أبقى مشهدُ النعمة والذنب للعارف من حسنةٍ يقول: هذه مُنجيتي من عذاب السعير، ما المُعوَّل إلا على عفوه ومغفرته فكلُّ أحدٍ إليهما فقير: (**أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي فاغفر لي**)؛ أنا المذنب المسكين وأنت (الرحيم الغفور).

ما تُساوي أعمالُك - لو سَلِمَتْ مما يُبطلها - أدنى نعمةٍ من نعمه عليك،

وأنت مرتهنٌ بشكرها من حين أُرسل بها إليك، فهل رعيتها بالله حقَّ رعايتها وهي في تصريفك وطوع يديك؟ فتعلّق بحبل الرجاء ؛ وادخل من باب التوبة والعمل الصالح: ﴿ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر:٣٠].

نهج للعبد طريق النجاة وفتح له أبوابها، وعرفه طريق تحصيل السعادة وأعطاه أسبابها، وحذره من وبال معصيته وأشهده على نفسه وعلى غيره شؤمها وعقابها، وقال: إن أطعت فبفضلي؛ وأنا أشكر، وإن عصيت فبقضائي، وأنا أغفر: ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر:٣٤].

أزاح عن العبد العلل، وأمره أن يستعيذ به من العجز والكسل، ووعده أن يشكر له القليل من العمل، ويغفر له الكثير من الزلل: ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر:٣٤].

أعطاه ما يشكر عليه ثم يشكره على إحسانه إلى نفسه لا على إحسانه إليه، ووعده على إحسانه لنفسه أن يُحسن جزاءه ويقربه لديه، وأن يغفر له خطاياه إذا تاب منها ولا يفضحه بين يديه: ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ .

وثَقَتْ بعفوه هفوات المذنبين فوَسِعَها، وعَكَفَتْ بكرمه آمال المحسنين فما قطع طمعها، وخَرَقَتْ السبعَ الطباق دعواتُ التائبين والسائلين فسمعها، ووسع الخلائق عفوُه ومغفرتُه ورزقُه فما: ﴿ مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ [هود:٦]، ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ .

يجود على عبيده بالنوال قبل السؤال، ويعطي سائله ومؤمِّله فوق ما تعلَّقت به منهم الآمال، ويغفر لمن تاب إليه ولو بلغت ذنوبه عدد الأمواج والحصى والتراب والرمال: ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ .

أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وأفرح بتوبة التائب من الفاقد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة إذا وجدها، وأشكر للقليل من جميع خلقه، فمن تقرَّب إليه بمثقال ذرةٍ من الخير شكرها وحمدها: ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ .

تعرَّف إلى عباده بأسمائه وأوصافه، وتحبَّب إليهم بحلمه وآلائه، ولم تمنعه معاصيهم بأن جاد عليهم بآلائه، ووعد من تاب إليه وأحسن طاعته بمغفرة ذنوبه يوم لقائه: ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾.

السعادة كلُّها في طاعته، والأرباح كلُّها في معاملته، والمحن والبلايا كلُّها في معصيته ومخالفته، فليس للعبد أنفع من شكره وتوبته: ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾.

أفاض على خلقه النعمة، وكتب على نفسه الرحمة، وضمن الكتاب الذي كتبه أن رحمته تغلب غضبه: ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾.

يُطاع فيشكر؛ وطاعته من توفيقه وفضله، ويُعصى فيحلم؛ ومعصية العبد من ظلمه وجهله، ويتوب إليه فاعل القبيح فيغفر له حتى كأنه لم يكن قطُّ من أهله: ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾.

الحسنة عنده بعشر أمثالها أو يضاعفها بلا عددٍ ولا حسبان، والسيئة عنده بواحدة ومصيرها إلى العفو والغفران، وباب التوبة مفتوحٌ لديه منذ خلق السماوات والأرض إلى آخر الزمان: ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾.

بابه الكريم مناخ الآمال ومحطُّ الأوزار، وسماء عطاه لا تقلع عن الغيث، بل هي مدرار، ويمينه ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار: ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾.

لا يُلقَّى وصاياه إلا الصابرون، ولا يفوز بعطاياه إلا الشاكرون، ولا يهلك عليه إلا الهالكون، ولا يشقى بعذابه إلا المتمردون: ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾.

فإياك أيها المُتمرِّد أن يأخذك على غرةٍ فإنه غيور، وإذا أقمت على معصيته وهو يُمدُّك بنعمته فاحذره فإنه لم يُهملك لكنه صبور، وبُشراك أيها التائب بمغفرته ورحمته: ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾.

من علم أن الربَّ شكورٌ تنوع في معاملته، ومن عرف أنه واسع المغفرة تعلَّق بأذيال مغفرته، ومن علم أن رحمته سبقت غضبه لم ييأس من رحمته: ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾.

من تعلَّق بصفة من صفاته: أخذته بيده حتى تُدخله عليه، ومن سار إليه بأسمائه الحسنى وصل إليه، ومن أحبَّه أحبَّ أسماءه وصفاته، وكانت آثر شيءٍ لديه، حياة القلوب في معرفته ومحبته، وكمال الجوارح في التقرب إليه بطاعته، والقيام بخدمته والألسنة بذكره والثناء عليه بأوصاف مدحته، فأهل شكره أهل زيادته؛ وأهل ذكره أهل مجالسته؛ وأهل طاعته أهل كرامته؛ وأهل معصيته لا يُقنِّطهم من رحمته، إن تابوا فهو حبيبهم؛ وإن لم يتوبوا فهو طبيبهم، يبتليهم بأنواع المصائب: ليكفر عنهم الخطايا؛ ويُطهِّرهم من المعائب: ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾»[1].

۞۞۞

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص ٤١٩ - ٤٣١.